

قراءة في التحولات الدينية للمعبودات المحلية الإفريقية بعد سياسة الرومنة -الربة تانيت انموذج-

عليلاش وردية^{*1}

¹ جامعة علي لونيسي - البلدة 2- wardia80@hotmail.fr

تاريخ النشر 2022/12/26

تاريخ القبول 2022/10/13

تاريخ الإستلام 2021/07/11

تعد الديانة أساس قيام المجتمعات القديمة بما فيهم الليبيين القدامى الذين عرفوا بورعهم الشديد وعبادتهم وطقوسهم الخاصة والتي أقيمت لشرف عدة آلهة محلية عرفت رواجاً كبيراً وشهرة تعدت حدود المنطقة. ومن بين تلك الآلهة نجد الربة تانيت التي عرفت شهرة واسعة وتبجيل وعبادة في الأواسط الشعبية وخاصة في الفترة البونية، ولكن بعد الاحتلال الروماني للمنطقة تعرضت هذه الأخيرة لسياسة رومنة فرضتها روما على كامل الآلهة المحلية التي كانت ترى فيها استمرارية عبادتها نوع من المقاومة الإفريقية لتواجدها التعسفي في المنطقة .

- **الكلمات المفتاحية :** شمال إفريقيا، الديانة المحلية، الربة تانيت، الآلهة كيليستيس، الرومنة .

- Le résumé

La religion est l'un des aspects fondamentaux des sociétés antiques, et les berbères font partie de ces peuples qui ont eu une ferveur et dévotion sans précédentes envers leurs dieux locaux telle que Tanit, cette déesse africaine à multifonction qui a conquis ses fidèles en leur promettant protection et fertilité.

Mais cette dernière lors de la conquête romaine des territoires africains, et après la politique de la romanisation que Rome a imposé sur ces provinces conquises, a connu un bouleversement et un changement des aspects généraux de son culte, mais son fond et son âme africains sont restés les mêmes, preuve de la résistance africaine à cette romanisation.

- **Les mots clé :** L'Afrique du nord, la religion, la déesse Tanit, la déesse Caelestis, la romanisation

1/مقدمة

انه ليس من السهل والهيّن على الباحث في تاريخ الأديان والمعتقدات في المغرب القديم أن يستجلي وبوضوح حقيقة الديانة الوثنية الخاصة لهذه المنطقة وخاصة في الفترة الرومانية نظرا لما يكتنف المصادر الخاصة لأصل تلك المعتقدات وحقيقتها نادرة ويشوبها كثيرا من الغموض والملايسات، وثانيها أن بلاد المغرب قد تعرضت لسياسة عملت على تحويل العبادات وتلبس المعبودات المحلية بلباس روماني يحول دون التمييز في أصول هذه الأخيرة نظرا لاندماجها في الآلهة المستوردة وظهورها في الصورة التي إرادتها لها روما، وهذا ماساهم كثيرا في تغييب أصلها المحلي وظهورها بخصوصيات خاصة بالمنطقة والتي لم تعرفها من قبل عندما كانت معبودة في روما .

وهذا ينطبق على عدة آلهة وبالخصوص نذكر ساتورن والذي يعد من بين الآلهة الرومانية المرتبطة بالزراعة والذي يبدو ثانوي ولم يعرف الشهرة في روما مثلما عرفها في إفريقيا ونفس الشيء ينطبق على كيليسيتيس تلك الربة المرتبطة بالقمر والتي هي الأخرى تبدو ثانوية ولكنها عرفت شعبية لا مثيل لها في المنطقة.

ومن هنا يتبادر في أذهاننا عدة تساؤلات حول سر ظهورها بهذا الشكل في إفريقيا فقط، ولعل الجواب على ذلك يذهب بنا إلى إدراك مدى البعد وصدى سياسة الرومنة التي طبقتها الإمبراطورية على مقاطعاتها والتي مست عدة جوانب من حياة أقاليمها وبالضبط الجانب العقائدي والديانة والآلهة.

فما حصل في إفريقيا جراء سياسة الرومنة تلك قلب رأسا على عقب الديانة المحلية المتجذرة فيها منذ عقود من الزمن حيث عملت السلطات الرومانية على طمس وإخفاء حقيقة الآلهة وخاصة تلك التي لها شعبية وهذا عن طريق البحث عن مثيلاتها في المهام والوظائف لتلصقيها بالأصلية لمحو اثر إفريقيتها، وهذا ما حصل بالضبط بالآلهة عرفت روجا كبيرا في المنطقة وهي الربة كيليسيتيس والتي ألصقت وأدمجت بتانيت الإفريقية والتي عرفت عبادتها بانتشار واسع في المنطقة.

ومن هنا نطرح الإشكاليات التالية:

- ما شكل واسم الربة قبل رومنتها؟
- ما هي طبيعة العبادة الموجهة لها وما هي مختلف الشعائر المقامة لها قبل الرومنة؟
- ما هي مختلف التحولات التي طرأت عليها بعد رومنتها؟
- آثار صمود عبادة تلك الربة في وجه التيار الرسمي الذي فرض عليها؟

ومن هنا يتجلى وبوضوح أهمية مثل هذه الدراسة، حيث تمكننا من تمييز الفكر العقائدي المحلي الخاص بالمنطقة وتحديد اهم التأثيرات الرومانية التي طرأت عليه اثناء عملية الدمج والرومنة تلك، والتي تعرض لها ايبان الاحتلال الروماني للمنطقة، كما تسمح لنا مثل هذه الدراسات بمعرفة وبشكل قاطع مدى تغلغل وصمود المعبودات القديمة الخاصة بالمنطقة ووفاء السكان لها واستمراريتها حتى وبعد ربح الرومنة التي عصفت بها وبجوانب عديدة من العبادة المخصصة لها وكذا الطقوس والشعائر المقامة لشرفها .

ولقد اتبعنا في تحليلنا لموضوع بحثنا هذا لمنهجية وخطة قائمة على تقسيمه الى أربعة محاور أساسية، فالأول خصصناه لدراسة الربة قبل رومنتها أي عندما كانت عبارة عن ربة محلية خاصة بالمنطقة والتي كان يطلق عليها اسم تانيت، حيث قمنا في هذا العنصر بالتعريف بالربة وذكر أصولها، رمزياتها وتمثيلاتها، لننتقل بعدها للمهام والوظائف المسندة لها.

المحور الثاني خصصناه للربة بعد رومنتها وهنا قمنا بتقسيم هذا المحور الى تعريف مفصل لها وذكر أصولها الرومانية ووظائفها ، وكذا رمزياتها وتمثيلاتھا .

المحور الثالث خصصناه للتغيرات والتحولات التي سجلناها بعد رومنتها لنتطرق الى اخر عنصر من هذه الدراسة والتي انصبّت في اثار صمودها ومدى محافظتها على كيانها المحلي حتى وبعد رومنتها لنختمها بخاتمة كحوصلة لموضوع بحثنا هذا .

2/ الربة قبل فترة الاحتلال الروماني أي قبل رومنتها

- تعريف بالربة تانيت la déesse Tanit

وهي إحدى أكبر الآلهة المحلية الإفريقية عرفت شهرة خاصة في قرطاج، برزت منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، ولقد كان إسمها مرتبطاً بالآله بعل حامون نفسه، حيث كانت تدعى باسم تانيت بني بعل أي تانيت وجه بعل، هي تمثل إلهة الأمومة عبادتها تتعلق بالخصب يستعان بها عند الولادة¹، كما أنها إلهة الإنتاج والخصوبة².

يبدو أن أصل هذه الربة ينتابه الغموض حيث اختلف الباحثون في تحديده بشكل دقيق فاعتبرها البعض أنها فينيقية الأصل ومثلوها بعشترت والتي وعلى حسبهم أنها نقلها البحارة الفينيقيون من صور إلى قرطاج وسموها بتانيت وجه بعل بدليل أنهما يتميزان بنفس الخصائص ويؤديان نفس الأدوار³، ويستند هؤلاء على بعض الشواهد الأثرية التي توضح عبادة لهذه الربة بجبل لبنان كنيقيشة سريبتا Sapipta والمؤرخة بالقرن السادس ق م، ولعل قدم هذا التأريخ جعل هؤلاء يؤكدون على شرفيتها واقترانها بعشترت الفينيقية.



الصورة رقم 01: نصب للربة تانيت عثر في مدينة صور

(مأخوذة من Dufresne, (I.), symbole de tanit, étude d'iconographie phénico-punique, Montréal 2004. PII Fig. 09.)

¹ -Fantar (M.), Carthage La Prestigieuse Cité D'ellisa, Tunis, 1970, P.70.

² - محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت 1994، ص 341.

³ - Vassel (E), « Le panthéon d'Hannibal », R.T, N°102, Tunis, 1919, p.655

وهذا الرأي يطرح إشكالية عويصة تكمن في اصطدام أصحاب هذه النظرية بقلّة تلك الشواهد الخاصة بها في فينيقيا، وعدم مصادفة لاسم لربة تانيت في المجمع الإلهي الذي عبد في المدن الفينيقية في الشرق، حيث انه لم يعثر على دلائل أثرية قاطعة تؤكد ذلك⁴، فهم يستدلون بذلك بنقيشتين لا أكثر، بالإضافة لذلك النقيشة البونية التي ذكرت عشترت إلى جانبها والتي اكتشفها الأب ديلاتر Delattre في 1898م لم تعثر بلبنان بل وجدت بسانتا مونيكا بقرطاج، ما يجعل ربط تانيت بالأصل الفينيقي ضعيف المنال ، كما لا يخفى علينا ومحاولة تشبيهها بعشترت تصطدم ببعض الصعوبات الأخرى كون أن هذه الأخيرة أي عشترت كانت رمزا للخصب مرتبطة بالأرض بينما تانيت فهي ربة سماوية مرتبطة بالقمر والدليل على ذلك رموز السماوية كالهلال وقرص الشمس اللذان كانا يستدعيانها هي ورفيقها بع⁵.



الصورة رقم 02: تمثال للربة عشترت الفينيقية
(مأخوذة من (fantar (M.H.) Ashtart, dans encyclopédie Berber N°7/1989, p965.

وهذا ما يدفعنا إلى استدراج الرأي الثاني للباحثين الذين يرون فيها أنها إفريقية محلية لم تعرف عبادتها في فينيقيا ويستدلون بذلك باسمها الذي يبدأ وينتهي بتاء التأنيث مثل أغلبية الأسماء الليبية المؤنثة، كما أن معنى هذا الاسم في اللغة الأمازيغية تعني الوحم وهذا الأمر له جانب كبير من الأهمية لان المعتقد يجعل من تانيت الحامية والمرافقة للمرأة الحامل⁶، وهذا لا يبتعد كثيرا عن أهم الوظائف المسندة لها وهي الحامية للمرأة والطفل الرضيع ، وفي نفس السياق ومن باب تأكيد محليتها يرى بعض الباحثين أن تانيت ما هي إلا ربة تحدثت عنها النصوص المصرية القديمة وهي نيث- تينحو أي نيت الليبية والتاء ما هو إلا تاء التأنيث في اللغة الليبية⁷، ولعل أصحاب هذه النظرية يستندون في رأيهم هذا على الكم الهائل من النقوشات والآثار وكذا الأنصاب الخاصة بهذه الربة والتي تبرهن على الشعبية والشهرة في المنطقة

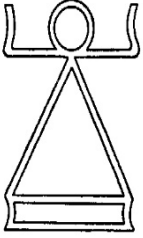
4 - محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008، ص.215.

5 - محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا (دراسة حضارية)، دار الهومة ، الجزائر 2013، ص.102.

6- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص.217

7 - محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، ص.103.

مقارنة بفينيقيًا، فلا تخلوا أي منطقة من آثار لعبادة تلك الربة فلقد احتلت الصدارة في البانتيون القرطاجي والمدن البونية الأخرى كما نجدها في كيرتا ومدن الليبية أين كان يقترن اسمها ببعل والذي تعد رفيقته.



على كل الأحوال فإن هذه الربة وبرغم كل التفسيرات التي دارت حولها، تحفظ بعض المظاهر المبهمة وغير المعروفة عنها، ومهما يكن فقد عرفت عبادتها انتشار واسع، وهذا ما تأكده الشواهد الأثرية الخاصة بها كالأنصاب النذرية المهداة لشرفها والتي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد، والتي تظهر منحوتة في جبهتها برمز معين والمتمثل في مثلث تعلوه ذراعان يمتدان أفقياً تتوسطهما دائرة تمثل الرأس⁸، ويبدو إن هذا الرمز مازال مستعملاً إلى يومنا هذا حيث نجده واضحاً ومجسداً على الإبزيم الفضي الذي تشد به المرأة الأمازيغية لباسها كما نجده في الوشم الممثل على الجبهة أو على ذقن النساء.

كما تمثل هذه الربة عن طريق رموز سماوية كالهلال والقرص الشمس كما يرمز لها أحياناً بامرأة ترضع طفلها وأحياناً تمثل بأشكال أنثوية تحمل أسلحة، كما تظهر كربة جالسة على العرش محفوف بتمثالين لأبي الهول، أو جالسة على عرش يعلوه قرص وهلال، كما تظهر في نفس الهيئة على نصب محفوظ في متحف قالمة أين ترتدي وشاح وفستان



الصورة رقم 03: نماذج للأنصاب المهداة لشرف الربة تانيت في الفترة البونية (مأخوذة عن الجزائر النوميديّة، إصدار المتحف الوطني سيرا 2007، ص 124).

طويل ينزل

حتى القدمين يجنحانها شخصيتين صغيرتين تظهران أسفلها وكأنهما تحملان العرش، كما نسجل لها تمثيلات أخرى على هيئة امرأة جالسة حاملة طفل والذي ترضعه، ومثل هذه التمثيلات استمرت حتى الفترة الرومانية⁹، كما تظهر على شكل

⁸ - Fantar (M.), Op.cit, P.72.

⁹ - Orfali (M.E), « Les Cultes et Les Divinités Africain avant le Monothéisme, l'Evolution de l'image de la Divinité », dans Algérie en Héritage Art et Histoire, Paris 2003 ; P.124.

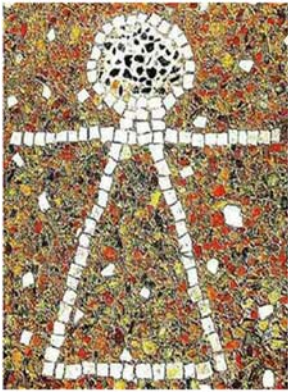
امرأة عارية تحمل أثنائها وهذا ما نشاهده على تمثال عثر بقرطاج ويعود إلى القرن الخامس ق م، كما تمثل أحيانا بامرأة مرتدية فستان طويل تحمل حمامة أو تضم نحو صدرها قرص وهلال.



الصورة رقم 04 : احدى تمثيلات للربة تانيت
(مأخوذة من Dufresne,(I.), Op.Cit PLII ,fig02,

بالإضافة
ة إلى
كل هذه
التجسيد
ات
ترافق
هذه
الربة
رموز

تظهر غالبا منحوتة إلى جانبها أو منفردة حيث يكفي ظهورها لاستدعائها ولم يقتصر ظهور تلك الرموز على الأنصاب فقط بل شغلت كذلك الحلي كالحواتم، التمايم، النقود، تماثيل من الطين المشوي، وتتمثل هذه الأخيرة في رمز القارورة، الرموز الفلكية كقرص الشمس والهلال والقمر والنجمة، رمز تانيت، الصولجان واليد والحمامة.



رمز تانيت ممثلة في منزل
بكرهوان -تونس-

وتانيت آلهة الخصب تتحكم أيضا في الحصاد ويستعان بها عند الولادة وهي سيدة الأمومة وحامية البيت والطفل وترمز للغنى والثروة وللقدرة على بعض الكتابات تحمل اسم الأم المغذية والمرأة المخصبة¹⁰.

ولقد كانت تهدي لشرفها ونقوش إهدائية وهذا بغيت التقرب منها ونيل رضاها والاستعانة في قضاء الحاجات، والوقاية من المصائب وعادة ما تكون النقوش مقرونة بتقديم قربان والتي تتنوع من حيوانية ونباتية، حيث يتضمن النقش وصفاً للقربان ثم يذكر اسم الشخص الذي قدم القربان ويطلب من الربة إنزال البركة وأخيراً إجابة الدعاء.

وكان استدعاء تانيت مقترنا برفيقها بعل حيث كانت تقدم لشرف هاذين الإلهين قربانين حيوانية من حمل وثور وقربانين نباتية من محاصيل زراعية وثمار إلى جانب ذكر النصوص عن أضحيات بشرية كانت تقدم بالدرجة الأولى لبعل والتي

¹⁰- Orfali (M.E), Op.cit., P.124.

كانت تحرق وتوضع في المعبد الخاص لذلك وهو التوفيت ومن أشهرها توفيت سلمبو بقرطاج والحفرة بكيرتا، وعادة توضع تلك القرايين المحروقة في أجانات لتدفن في صرح تلك المعابد ليوضع بعدها فوقها نصب كشاهد عليها، وكانت تانيت تسهر على حماية تلك الأنصاب وتتدخل ضد أي شخص يلحق بها الضرر، أو يحاول إنتهاك تلك الأعطية.

3/ الربة في الفترة الاحتلال الروماني أي بعد رومنتها

- التعريف بالربة كيليسيتيس la déesse Caelistis

كايليسيتيس" هي ربة رومانية والتي تعني إلهة السماء أو الآلهة التي تسكن السماء، ولقد عبدت على أساس أنها سيدة الكواكب وإلهة الخصوبة والأمومة مما جعلها تدعى بالآلهة العذراء الكبرى¹¹. ولقد احتفظت في الفترة الرومانية بنفس المهام إضافة إلى كونها مخصبة الأراضي والحامية للزراعة كما كانت متحكمة في المياه والأمطار¹² حيث لقبت في مداوروش بواحدة الأمطار فحسب قزال Gsell أنها كانت تساهم في عملية سقي الأراضي بإعطائهم المياه اللازمة¹³.

وهي ربة الرئيسية للخصوبة فمثلها ومثل تانيت وحتى نوتريكس Nutirix تحولت من عذراء إلى أم وربة للخصوبة وربة مغذية فهي تمثل صورة للطبيعة التي تنتعش وتُحيى بعد سقيها بالماء، كما أنها تمنح الخلود للإله ساتورن¹⁴، كما تستحوذ على عدة قوات فهي مثل ساتورن سيدة للسماء والنجوم والأرض وخيراتها وحتى سيدة على عالم الأموات والعالم الآخر¹⁵. لقبت في تلك الفترة بـ Dea Sancta و Domina Aeterna فهي في نفس الوقت تحمل الألقاب الممنوحة لساتورن فهي بذلك وفي تلك الفترة ليست برفيقته بل تعادله في المكانة، تظهر عادة معه كما تظهر برفقة اسكولاب Esculape فهي بذلك تقتسم مع هيجيا صفة العلاج من الأسقام والأمراض¹⁶.

تدمج عادة في الفترة الرومانية بجينون Junon فلقد شبهوها بها حيث ظهرت ما يعرف بكيليسيتيس جينون la caelistis Junon¹⁷ وشبهت بعدة آلهة أخرى إغريقية كهيرا Héra والآلهة ديانا diana الرومانية¹⁸.

ولقد منحت لها عدة صفات وخصائص في تلك الفترة فهي تمثل القوة الكبرى الأنثوية للسماء والتي تسيطر على القمر والنجوم والمعجزات والعجائب القادمة من فوق أي من السماء، فهي تتحكم في المطر والرعد¹⁹ وسيدة وملكة على الآلهة مانيس les dieux Mânes آلهة العالم السفلي والأموات، كما أنها سيدة للكون، وهي العذراء الكبيرة فيشبهونها كثيرا بفينوس Venus وميثرا Mithra، كما تتحكم في الحيوانات وفي السماء ونجومها وعلى الأرض وسكانها وعلى عالم الأموات والحياة الأخرى²⁰، ولها نفس الخاصية السماوية لساتورن فهي مكمله له حيث تملئ بذلك دورها كرفيقة له²¹.

¹¹- Decret (F.) et Fantar (M.H.) ; L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, (Histoire et Civilisation des origines au V siècle) , Payat , Paris 1981 , P.273

¹² - leglay (M.) ; le paganisme en Numidie et dans les Maurétanies sous l'empire romain » dans Antiquité africaines ; Vol .42 ; Ed CNRS.2006.P.75

¹³- Gsell(st) , Khemissa , Mdaourouche , 1914 p.38.

¹⁴ - Orfali (M.E), Op.cit, P.127.

¹⁵ - leglay (M.) ; Op.cit, P.74.

¹⁶ - leglay (M.) ; ibid. P.74.

¹⁷ - Audollant (A.), Carthage romaine, bibliothèque d'école française, Paris 1901, P. 370.

¹⁸ - Boissier (M), la religion romaine , T.1 pp.61.74

¹⁹ - Audollant (A.), Op.cit,P 374.

²⁰- Leglay (M.), Saturne African, Histoire, Paris1963, P.216.

²¹- Leglay (M.), Ibid. P.216.



الصورة رقم 05: تمثال للربة جنون الرومانية

في يوم 2021-06-24 على الساعة 21-27). <https://fr.wikidia.org/wiki/Junon> (مأخوذة من موقع

تمثل عادة على عدة أشياء فنجدها ممثلة على الأنصاب حيث قُدمت على شرفها في إفريقيا الكثير من هذه المعالم في تلك الفترة²² كما نجدها ممثلة على قطع النقود وعلى المصابيح وحتى في الفسيفساء أين تظهر إما وحدها أو مرافقة لساتورن، وهي عادة تظهر مرتدية فستان طويل فوق رأسها تاج، شعرها يرتمي على كتفيها، ملامح وجهها تدل على قوة في الشخصية وعلى السيطرة²³، بالإضافة إلى هذه التمثيلات نجد لها رموز والتي يكفي ظهورها لاستدعاء هذه الآلهة، كالهلال والنجمة، كما مثلت إلى جانبها عدة حيوانات كالأسد والذي أصبح مقترنا بها .

أما أماكن العبادة فلقد انتشرت في العهد الإمبراطوري معابد خاصة بها في مدن المقاطعات الإفريقية كالبروقنصلية مثل قرطاج حيث عثر على معبد واسع وساحة مزينة بفسيفساء وأعمدة فخمة، كما نجد لها في الدوقة وهدرومات، كما نجد لها معابد في نوميديا وهذا في هيبون وكيرتا ولومبار، وفي موريطانيا السطيفية والقيصرية وهذا في كل من سطيف وأوزيا، وهذه المعابد كانت تقدم على مذابحها قرابين مهداة لشرفها كما نجد لها تماثيل وكهان يسهرون على الطقوس المقامة لها. كما تنوعت الشواهد الأثرية المهداة لشرفها والمنتشرة في مناطق عدة بما فيها مقاطعة نوميديا حيث عثر فيها على نقائش لها في كل من تبسة ومداوروش وقالمة وكيرتا²⁴ كما وجدت نقائش خاصة لها وهذا في تيمقاد أين استدعيت بصفة الأغسطسية Augusta²⁵.

²² - Decret (F.) et Fantar (M.H.) ; Op.cit ,P.27.

²³- Audollant (A.), Op.cit, P.378.

²⁴ - Audollant (A.) ; ibid ,P. 381.

²⁵- leglay (M.) ; op.cit. .P.75.

ولقد استمرت عبادتها حتى فترات متأخرة حيث يتكلم القديس اغسطينوس St. Augustin عن أوفياء لها وهذا حتى منتصف القرن الخامس للميلاد²⁶.

4/ التحولات والتغيرات المسجلة بعد رومنتها

يتضح مما سبق ومن خلال تحليل وتمييز طابع وخصائص الربتين في الفترة البونية وبعدها في الفترة الرومانية نستنتج عدة وجوه اختلاف وتغيير مس الهيئة العامة والتمثيلات وحتى العبادة الموجهة لهما.

ويظهر هذا التغيير في بادئ الأمر في الاسم والذي يبدو جليا انه تحول من تانيت إلى كيليسيتيس ولعل رومنة هذا الاسم ساعد الرومان في طمس وإخفاء أصلها المحلي والذي يعرف فقط من رنة اسمها، واختيار كيليسيتيس لم يكن عشوائيا وإنما كان مدروسا بإحكام حيث عمل الرومان على اختيار ربة ذات صفات ووظائف تقربها أكثر لتانيت وصفاتها فهي مثلها ربة سماوية ولها علاقة بالقمر ومثلها تختص بالخصوبة ومثلها لها علاقة بالأرض والمطر.

كما مس التغيير الهيئة والتمثيل العام لها فبعدها كانت تانيت تمثل عادة برمزها الخاص بها ورموز أخرى تستدعيها وحتى أنها تظهر بتمثيلات خاصة بها كظهور الأتداء أو حمل الرضيع فإنها وفي فترة الاحتلال الروماني تظهر على هيئة مخالفة لما كانت عليه، فهي تبدو ممثلة بفستان وتصيفة على الموضة الرومانية المذاعة آنذاك، كما أضافوا لها حيوان اقترن بها فلا تخلو تمثيل لها إلا وظهر معها أسد يرافقها وهذه خاصية رومانية سجلت على عدد كبير من الآلهة التي تظهر إلى جانبها حيوانات تمثلها أو كتوابع لها كالشعبان لإسكولاب والحمامة لفينوس والذئب للإله مارس.

كما مس التغيير أيضا العبادة والشعائر المقامة، فبعدها كانت الطقوس المقامة عبارة عن قربان المعروفة بالكمور والتي تحرق وتدفن في مساحة المعبد والتي تكون مفتوحة على الهواء الطلق والتي يوضع بعدها نصب يذكر بالقربان أو الأضحية المقامة، أصبحت تلك القربان تقدم بطقوس مخالفة وتوضع في معبد مبني على الطراز الروماني وتقدم الشعائر باللغة اللاتينية وبحضور كهنة رومان .

كما أن التغيير يظهر جليا على نوعية العبادة المقدمة لهذه الربة في الفترة الرومانية فبعدها كانت عبادتها متصلة برفيقها بل حيث كان هذين الزوجين يُعبدان سويا ويُقدّمان لشرفهما أصحابي وقربان في الفترة البونية -ولا يخفى علينا أن بل كان يتزعم هذا المجمع ويبدو رئيسيا ومهما عليهما- أصبحا في الفترة الرومانية يعبدان منفردين ولكل واحد منهما معبد خاص به كما أنها منحت لها في تلك الفترة صفات وألقاب قربتها أكثر من المكانة التي يحتلها ساتورن وبذلك أعطيت لها التفوق مثلها مثل رفيقها.

كما سجل التغيير أيضا على نوعية الأوفياء الخاصة بتلك الربة فهؤلاء يبدون مرومين حيث أن الصيغ التي كانوا يقدمون بها القربان أصبحت رومانية لاتينية فتخلو بذلك عن تلك الصيغ البونية المقامة في فترات سابقة، فأضحت بذلك المعالم والأنصاب المقدمة لشرفها رومانية المظهر من كتابة لاتينية وتجسيد لشخصيات مرتدية ألبسة رومانية من توجة وستولا وظهر اكنوغرافية جديدة على هذه المعالم من مذابح مصورة وعلب للبخور حتى الأسماء تحولت وهذا كله بعدما كانت تلك المعالم في الفترة البونية بسيطة المضمون تكثر عليها الرمزية كما تكتب عليها بالبونوية .

²⁶ -Leglay(M.) Ibid., P.216.

5/ آثار الصمود والاستمرارية

لعل سرد كل الاختلافات والتغيرات الجذرية التي مست عبادة تانيت في الفترة الرومانية توضح لنا مدى آثار الرومنة بادية وواضحة عليها حيث عامة نلاحظ زوال المظهر المحلي البوني للعبادة واستبداله بعبادة رومانية محضة ولكن هذا ظاهريا حيث ومن خلال التحليل يظهر أن جوهر العبادة الخاصة لتلك الربة بقي على شكله الأصلي.

ففيما يخص وظيفة وصفات الربة بقي كما هو بحيث بقية ربة مختصة في الأمومة والخصب مرتبطة بالقمر والعالم السماوي ضف إلى ذلك بقي أوفياءها رغم رومنتها أنفسهم فهم من الأواسط الشعبية والريفيين، وكانوا معظمهم أفرقة لم يروموا كما ظهر أوفياء غير محليين من رومان وحكام أقاليم وجنود²⁷.

كما بقيت نفس الطقوس المقدمة فبرغم من تشييد الرومان للمعابد خاصة للربة كيليستس إلا أن الأهالي وعامة الشعب فضلوا التوجه إليها عن طريق القرابين والأنصاب الموجهة لشرفها بغيت نيل المرات وهذه تعد الطريقة التقليدية والقديمة التي عرفت في عبادة تانيت ولعل استمرار مثل هذا الوجه من العبادة يدل على تيقن العامة والأوفياء من إن هذه الربة ما هي إلا استمرارية لتانيت ولعل هذا ما يفسر بقاء معظم الطقوس الموجهة لها على حالها في الفترة الرومانية.

أما فيما يخص الصفات والمهام فمن خلال ما سبق سرده من مميزات ووظائف وحتى التسميات والألقاب الموجهة لكليستيس يعكس مدى بقاء نفس الصفات لتانيت في جوهر تلك الربة، إذ أنها مثل تانيت ربة للخصوبة ومثلها ربة سماوية ومثلها لها علاقة بالقمر ومثلها لها علاقة بالمطر والخصوبة وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تلك الاستمرارية في المهام في كلتا الفترتين وعدم خروجها عن النطاق الذي كانت عليه في الفترة البونية.

أما فيما يخص التمثيلات فلا يخفى علينا أنها تمثل دائما برفقة القمر أو الهلال وهذه خاصية لتانيت في الفترة البونية، كما أنها تظهر برفقة أسد وهذا ما لوحظ أيضا في الفترة السابقة.

وفيما يخص علاقة كليستيس بساتورن فبرغم من فصل عبادتهما في الفترة الرومانية إلا أن ومن خلال الملاحظات والدراسات المقامة سُجلت ولعدة مناسبات استدعائهما كلتيهما في نفس الوقت، كما أنها بقيت مرتبطة به مثلما ارتبطت تانيت ببعل حيث كانا وحتى في الفترة الرومانية يشكلان زوجين من الآلهة المهمة في إفريقيا.

ولعل هذه الاستمرارية إن دلت على شيء فإنها تدل على نوع من المقاومة والصمود للمعتقدات المحلية المتجذرة في الأواسط الشعبية الراضية لسياسة الرومنة المفروضة عليها، فرغم محاولة الرومان تغطية تانيت وإخفاء أصلها المحلي إلا أن جوهرها وروحها الإفريقي بقي فيها كنفس منبعثة من جديد ونوع من التمسك في التقاليد الموروثة ما يبين مدى تغلغل هذه الديانة المحلية في الأواسط الأهلية وتعلق السكان المحليين بمعبوداتهم المحلية وعجز الديانة الرومانية المفروضة عليهم من التغلغل في أعماق معتقيها من الأهالي الذين رغم اندماجهم في المجتمع الروماني ولكنهم لم يتخلوا عن هويتهم، وتدل الدراسات إن حتى الرومان بحد ذاتهم سواء حكام أم جنود أو موظفين توجهوا لتلك الربة بنفس الطقوس والتفكير المحلي نظرا لتأثرهم بنفس تلك المعتقدات.

6/ الخاتمة

في الأخير ومما سبق يتضح إن رغم بذل الرومان جهود جبارة لاستئصال المعتقدات المحلية وفرض سياسة الرومنة العاملة على إخفاء حقيقة الآلهة والشعائر المقامة لشرفها، إلا أن المعتقدات المحلية وجدت طريقها إلى نفوس الأهالي

²⁷- Le bohec yann , histoire de l'Afrique romaine 146 avant j-c 436 après j-c ,éd picard, paris 2005, P.181.

وبقيت راسخة فيهم وهذا النوع من التمسك ما هو إلا صورة للمقاومة الأهالي الذين رفضوا آلهة روما والاحتفالات والمعابد المقامة لشرفها ليتمسكوا بالهتهم الإفريقية التي كانوا يرون فيها خلاصهم ، ولعل هذا التمسك والورع جعل من كيليستيس الصورة الاستمرارية لتأنيب المحلية التي كانت سيدة إفريقيا إلى جانب ساتورن وريث بعل، فهي بذلك وريثتها في الفترة الرومانية، فيبدو أن المكانة المرموقة التي احتلتها كيليستيس في إفريقيا في تلك الفترة ما هي إلا لكونها بدت في صورة معبودة أصلية كان يبجلها الناس ويقدمونها فبذلك لم تتغير من هذه الأخيرة إلا الصورة والاسم فقط في نظرهم.

وتؤكد الأدلة الأثرية على تواصل الديانة المحلية أثناء السيطرة الرومانية ولقد بذلت روما لذلك مجهودات جبارة في نشر الديانة الرسمية وأقامت لها جهازا رسميا يتكون من مجلس كهان يسهرون على السير الحسن للشعائر المقامة، وتركزت تلك الشعائر في الاحتفالات المقامة والمآدب والمهرجانات التي كان ينال منها الفقراء ما يملأ بطونهم ويشبع شهوتهم في الأكل والشرب²⁸، وبذلك لم تستطع هذه الديانة أن تتغلغل في نفوس الجماهير حيث أنها كان يرغب فيها فقط لأنها كانت تشبع بطونهم دون أن يثقوا في حقيقتها، ومن ثم ظل الجميع محتفظا بمعتقداته القديمة مخلصا للآلهة التي كان يفضلها وبذلك أصبحت تلك الديانة شكلا بدون مضمون أو محتوى ما جعل العامة ينفرون منها ويعودون إلى ألهتهم الأصلية والتي شبيهها البعض بمعبودات وطنية²⁹ وقد تجلّى إخلاص الأهالي لمعتقداتهم القديمة في توارثهم لشعائر تقديم الأضاحي والقربان على الطريقة القديمة مما يثير التساؤل حول إذ كانت تلك الاستمرارية الدينية هي إحدى مظاهر المقاومة المعنوية الصامته ضد الرومان³⁰ أو أنها إخفاق وهزيمة روما في تطبيق سياسة الرومنة تلك في إفريقيا .

²⁸ محمد البشير شنييتي، نوميديا وروما الإمبراطورية (تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال)، كنوز الحكمة، الجزائر 2012، ص 315.

²⁹ - Leglay (M.) ; op cit p481.

³⁰ - Leglay (M.), Ibid ;P. 481.

البيبلوغرافيا

- باللغة العربية

- محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008.
- محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا (دراسة حضارية)، دار الهومة ، الجزائر 2013.
- محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الإمبراطورية (تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال)، كنوز الحكمة، الجزائر 2012.
- محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت 1994.

- باللغة الأجنبية

- الكتب

- Audollant (A.), Carthage romaine, bibliothèque d'école française, Paris 1901.
- Decret (F.) et Fantar (M.H.) ; L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, (Histoire et Civilisation des origines au V siècle) , Payat , Paris 1981 .
- Boissier (M), la religion romaine, T.1
- Fantar (M.), Carthage La Prestigieuse Cité D'ellisa, Tunis, 1970, P.70.
- Gsell(st) , Khemissa , Mdaourouche , 1914 .
- Leglay (M.), Saturne African, *Histoire*, Paris 1963
- Le bohec yann , histoire de l'Afrique romaine 146 avant j-c 436 apres j-c ,éd picard, paris 2005.
- Vassel (E), « Le panthéon d'Hannibal », R.T, N°102, Tunis, 1919.

- المقالات

- Orfali (M.E), « Les Cultes et Les Divinités Africain avant le Monothéisme, l'Evolution de l'image de la Divinité », dans *Algérie en Héritage Art et Histoire*, Paris 2003
- Leglay (M.) ; le paganisme en Numidie et dans les Maurétanies sous l'empire romain » dans *Antiquité africaines* ;Vol .42 ; Ed CNRS.2006